

الدولة الصفوية الثانية أو الدولة الفارسية السابعة في العراق

١٠٣٢ هـ - ١٠٤٨ هـ

كانت الدولة العثمانية قد وجهت إيالة العراق إلى الوزير يوسف باشا في سنة ١٠٢٥ هـ وكان هذا الوزير ضعيف الرأى فحدثت بينه وبين رئيس شرطة بغداد بكر أغا فتنة في سنة ١٠٢٨ هـ في عهد السلطان عثمان الثاني . وكان بكر أغا قد جلب الأهلين إليه وكثرت اتباعه وأستولى على جميع شؤون الحكومة العراقية من إدارية وعسكرية حتى لم يبق للوزير غير الأسم وآلت تلك الفتنة إلى الحروب في نفس بغداد فقتل يوسف باشا واستولى بكر أغا على الولاية وكتب إلى السلطان يطلب تشييته فيها فوجهت الایلة إلى غيره فانتقض على الدولة وأعلن استقلاله في العراق فما كان من السلطان إلا أن أرسل الجيوش إلى قتاله فلما حوصرت بغداد وضاق الحال ببكر أغا استجد بالشاه عباس الأول الذى تولى عرش إيران سنة ٩٩٥ هـ الموافقة لسنة ١٥٨٦ م ووعدته بالدخول تحت سيادته على أن يكون الحكم له والخطبة والسكة بأسم الشاه فوافق على ذلك الشاه وأنجده وفي أثناء ذلك اصطلح بكر أغا مع القائد العثماني حافظ أحمد باشا ووجهت إليه الایالة ورفع الحصار عن بغداد ورجعت عساكر السلطان غير أن الجيش الفارسى الذى جاء لنجدة بكر أغا كان قد أقرب من بغداد بعد أن ابرم أغا

معاهدة الصلح مع القائد العثماني فكتب بكر أغا إلى قواد الفرس يطلب منهم الرجوع ويخبرهم بما تم من أمر الصلح فأبوا عليه ذلك وأصروا على دخول بغداد حسب أمر الشاه وبعد مخابرات حاولت الجيوش الفارسية دخول بغداد فمنعها بكر أغا فحدثت بين الطرفين عدة معارك انتصر في آخرها بكر أغا وظل يطارد الفرس حتى أخرجهم من ديار العراق .

فلما علم الشاه بذلك استشاط غضباً وزحف بنفسه على بغداد في سنة ١٠٣٢ هـ وهو يقود جيشاً كبيراً حتى أقرب منها وكتب إلى بكر أغا يطلب منه تسليم المدينة فأبى بكر أغا عملاً بمعاهدة الصلح التي من شروطها أن لا يدع الفرس يدخلون بغداد .

وعندما حمل الشاه على المدينة وحاصرها حصاراً شديداً وضيق عليها من كل الجهات ودام الحصار ثلاثة أشهر كان فيها بكر أغا مدافعاً دفاع الأبطال حتى ضاق به الحال وخارت قوى عساكره واشتد القحط في المدينة .

أما الشاه فإنه لما عجز عن فتح بغداد حرباً عمد إلى الحيلة والخداع وراسل سراً محمد أغا بن بكر أغا - وكان محافظاً على قلعة بغداد - فوعده بالمنصب والأموال حتى خدعه ففتح له أبواب المدينة ليلاً فدخلتها جيوش الشاه على حين غفلة من بكر أغا والأهلين فأهزم المدافعون وأختفى الناس في بيوتهم واشتغل كل في نفسه فما أصبح الصباح إلا والشاه قد دخل بغداد بمن معه وذلك في ٩ شوال سنة ١٠٣٢ هـ الموافقة سنة ١٦٢٣ م .

دخل الشاه عباس الأول بغداد فقتل أكثر رجال الحكومة التركية من عسكريين وإداريين حتى رجال الدين منهم القاضي نوري أفندي وخطيب الجامع الكبير محمد أفندي وغيرهما وفتك بالسنة فتكاً ذريعاً وصار أموال المثرين منهم وارتكبت جنوده أنواع المنكرات من قتل وسلب ونهب وتخريب . أما بكر أغا فإن

الشاه قتله أشنع قتلة ثم قتل أخاه عمر أغا أيضاً وفعل هذا الشاه أفعالاً لا تأتلف مع ما كان عليه من الحكمة وحسن السيرة وحب التقدم والعمران .

وبعد أن هدأت بغداد أرسل الشاه وزيره قاسم خان بجيش كبير لفتح الموصل فأفتح هذا القائد في طريقه كركوك ثم توجه إلى الموصل وعليها إذ ذاك وال تركى اسمه حسين باشا فدافع عنها أياماً ثم عجز وأضطر إلى تسليمها فدخلها الفرس وأضطهدوا أهلها وفتكوا بهم كما فتكو بأهل بغداد وكان الشاه يؤمنذ مقيماً في بغداد وقد تم أمره في العراق (إلا البصرة) في مدة شهرين بعد فتح بغداد ثم ذهب إلى كربلاء ثم النجف ومنها عاد إلى بغداد وجعل لحمايتها خمسة آلاف جندى فارسى بقيادة صفى قلى خان وولى الحكم فيها لرجل من خاصته اسمه صارى خان وكتب إلى رؤساء القبائل العربية بلزوم السكينة والطاعة ثم عاد إلى مقره .

فلما كانت سنة ١٠٣٦ هـ أمر الشاه قائده صفى قلى خان بالزحف على البصرة فحمل عليها من بغداد فحاصرها حصاراً شديداً وكانت حينذاك في قبضة أمرائها المستقلين بما^(١) وبينما صفى قلى خان يهاجم البصرة إذ فاجته نعى الشاه (عباس الأول الصفوى) فترك الحصار وعاد إلى مقره .

وبقيت المدن العراقية في قبضة الصفويين (عدداً البصرة) سنة عشر سنة تقريباً (١٠٣٢ هـ - ١٠٤٨ هـ) ثم أخرجهم منها السلطان مراد خان الرابع

(١) استقل هؤلاء الأمراء في سنة ١٠٠٥ هـ وأولهم أفراسياب وآخرهم حسين باشا ثم أرسل السلطان محمد الرابع في سنة ١٠٧٨ هـ جيشاً بقيادة وزيره مصطفى باشا فأفتح البصرة عنوة وطردها هؤلاء الأمراء ثم تغلب عليها أمير الحوزة فرج الله خان في سنة ١١٠٩ هـ فطرده العثمانيون منها في سنة ١١١١ هـ وظلت في قبضتهم إلى أن استولى البريطانيون عليها في سنة ١٣٣٣ هـ .

العثماني في سنة ١٠٤٨ هـ الموافقة لسنة ١٦٣٨ م بعد حروب استمرت أعواماً خسر فيها الفريقان (الأتراك والفرس) خسائر عظيمة وعادت للعثمانيين في عهد الشاه صفى الدين خان الثاني المدعو سام مير زاحفيد الشاه عباس الأول .

حملات الفرس على العراق

لما تولى عرش إيران الشاه طهماسب الثاني وآنس في نفسه قوة طلب من الدولة العثمانية أن تعيد إلى مملكته جميع البلاد التي أخذتها من أسلافه وأنقذ عنه مندوباً إلى الآستانة للمفاوضة مع رجال الحكومة في هذا الطلب وذلك سنة ١١٤٢ هـ فلما لم تجبه الدولة بشئ حمل بجيوشه الفارسية على تبريز فأستولى عليها ثم على همدان ثم كومنشاه فحدثت من أجل ذلك فتنة عظيمة في عاصمة آل عثمان ثار الجيش فيها على رجال الدولة ناسباً هذا الحادث إلى خيانتهم فقتل عدداً منهم ثم أمتدت الفتنة إلى السلطان أحمد الثالث فخلع سنة ١١٤٣ هـ وبويع السلطان محمود الأول ابن السلطان مصطفى الثاني فجهزها الجيوش لقتال الفرس وكان الشاه قد توجه نحو العراق واجتاز بجيوشه الحدود ونهب القرى ثم قصد بغداد سنة ١١٤٣ هـ وحدثت بينه وبين أحمد باشا أمير العراق عدة حروب كانت سجالاً . وفي أثناء ذلك استرد الأتراك تبريز فلما علم الشاه بذلك أوقف الحرب وأنسحب من العراق وطلب الصلح وكادت تقرر شروطه لولا نادر خان القائد الأكبر للجيوش الفارسية الذي عارض في تلك المعاهدة وحمل بجيوشه على العراق فعادت الحرب بين الدولتين فانتصر الفرس وتقدموا حتى حاصروا بغداد فأستجد أحمد باشا بالسلطان وظل مدافعاً حتى جائته النجدات بقيادة الصدر الأعظم عثمان باشا الأعرج سنة ١١٤٤ هـ والتقت بالفرس وبعد معارك دموية انتصر الأتراك قرب بغداد وأنسحب الفرس وعلى أثر ذلك سار عثمان باشا

بجيوشه قاصداً الموصل فلحقه الفرس بعد أن لموا شعبهم فالتقوا به وعادت الحرب فقتل عثمان باشا وهزمت جيوشه فتقدم الفرس حتى مدينة الزور وعندها طلب الشاه الصلح فتقررت شروطه على أن تعاد همدان وتبريز للفرس وتبقى روان (أريوان) وشروان والعراق للأتراك وتم الصلح في منتصف جمادى الأولى سنة ١١٤٩ هـ^(١).

حملة نادر خان الأولى على العراق

ولما مات الشاه طهماسب الثاني سنة ١١٥١ هـ وخلفه ابنه الشاه عباس الثالث تولى الوكالة عنه القائد نادر خان فطمع بالعراق وحمل عليه حتى أقرب من بغداد وحاصرها في عهد الوزير أحمد باشا الذي تولى إيالة العراق سنة ١١٤٩ هـ^(٢) فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً لقتال الفرس وبعد عدة وقائع اندحر الجيش الفارسي وجرح نادر خان . ولكنه بعد قليل لم شعته وأعاد الكرة على العراق وانتصر على الأتراك فوجهت الدولة العثمانية جيشاً آخر سنة ١١٥٢ هـ

(١) وفي رواية أن نادر خان حاصر بغداد سنة ١١٤٥ هـ وظل محاصراً لها نحو خمسة أشهر وعاد عنها بالفشل ثم حاصرها سنة ١١٤٦ هـ عشرين يوماً ثم ارتحل عنها وفي رواية أخرى أنه استولى على كركوك سنة ١١٤٥ هـ ثم حاصر بغداد أياماً في السنة نفسها ففشل ورفع الحصار وأرسل تركس خان القائد بجيش كبير إلى الموصل فحاصرها ولكنه عاد بالفشل أيضاً في السنة نفسها (سنة ١١٤٥ هـ) .

(٢) هو غير أحمد باشا بن حسن باشا الذي تولى إيالة العراق بعد موت أبيه سنة ١١٣٥ هـ

فانتصر عليه نادر خان . وعلى أثر ذلك تقررّت المعاهدة الصلحية بين الدولتين على اعتبار الحدود التي كانت على عهد السلطان مراد خان الرابع فاتح بغداد وعادت جميع البلاد التي كانت الأتراك قد افتتحوها من الفرس إلى أهلها (الفرس) عدداً العراق .

حملة نادر شاه الثانية على العراق

عندما خلع الفرس الشاه عباس الثالث وتوصل نادر خان إلى الجلوس على عرش إيران وقرض الدولة الصفوية وأعلن نفسه ملكاً وسمى نادر شاه ولقب بطهماسب الثالث طمعت نفسه بالعراق فطلب سنة ١١٥٦ هـ من الدولة العثمانية أن تعترف بالمذهب الشيعي وتعتبره مذهباً خامساً وتخصص له ركناً في الحرم الشريف (الكعبة) - وهو يعلم أن سياسة الأتراك تخالف هذا الطلب وأنهم بالطبع يرفضونه - فرفضت الدولة العثمانية طلبه فأخذ ذلك الرفض ذريعة للحرب فحمل على العراق وأغار على البصرة والقرنة وذلك سنة ١١٥٦ هـ وتوغل في البلاد الفراتية حتى وصل الحلة ثم حاصر بغداد وظل يتهددها برمي القنابل أياماً دافع في أثنائها الوزير أحمد باشا دفاع الأبطال حتى عجز نادر شاه عن فتحها وسار عنها إلى كركوك فأفتتحها ثم توجه نحو الموصل فأستولى على جميع القرى المجاورة لها ثم حاصر الموصل أياماً فسأقت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً لقتاله وبعد حروب كانت سجلاً بين الفريقين انسحب الفرس عن الموصل وساروا إلى

جزيرة ابن عمر فأسترد الأتراك كركوك وفي أثناء ذلك أعاد الكرة نادر شاه على الموصل فرده أهلها بالخسران لمناعة أسوارها التي كانت عوناً لهم على الدفاع فلما بلغ الأتراك ذلك حملوا على نادر شاه ثم ضيقوا عليه قرب روان ولكنهم دحروا وبعد ذلك وتوجه نادر شاه إلى جهة أرضروم وكتب إلى السلطان محمود الأول يطلب تسليم إيالات وأن الموصل وبغداد فلم يجيبه السلطان بغير إرسال الجنود لقتاله فخاف نادر شاه عاقبة التوغل في البلاد العثمانية فعدل عن طلبه وبعد مفاوضات طويلة تم الصلح معه على اعتبار الحدود القديمة وذلك سنة ١١٥٩ هـ.

